ولم تكد تمرّ على رئاسته شهور اربعة حتى عاجلتهُ المنيّة ودُفن في كنيسة آحو دامه بتكريت

وكان عدد اليونان يومئذٍ قد ازداد في بغداد فارسل اليهم ايليّا بطريركهم الانطاكي اسقفاً اسمه يانّي فعارضهُ ابرهيم جاثليق النساطرة وسأل وزير بغداد ان يأمره بالعودة الى وطنه مدّعياً انهُ يونانيّ واليونان يخالفون المسلمين دينيًّا ومدنيًّا فقال له الوزير: «ان النصارى في البغض للمسلمين هم على حدّ سوى» فسكت الجاثليق زماناً ثم استأنف الدعوى واستحضر البطريرك ايليّا عام ٩١٤ الى بغداد واراده على رقم صكّ يصرّح فيهِ بان لا حقّ لهُ ان يقيم جاثليقاً او مطراناً للملكيّين في بغداد بل لهُ اذا دعت الحاجة ان يرسل اليهم تارةً فأخرى اسقفاً ليتمهّد امورهم ويعود الى وطنهِ (لها بقيّة)

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٥٠ اعشى بني ابي ربيعة

﴿اصلهُ ونسبهُ﴾ كان هذا الأعشى معاصراً الأعشى تغلب يشبههُ في دينهِ وانتمائهِ الى الدولة الاموية. اسمهُ عبدالله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وقد عُرف باعشى ربيعة او اعشى بني ابي ربيعة. وابو ربيعة احد اجدادهِ عُرف بالمُزدلف قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦): «سُمّي المزدلف لانهُ قال لقومهِ وهو في حرب: ازدلفوا قِيدَ رمحي اي اقتربوا. وانتماؤهُ الى بني

شيبان الذين ثبتوا مدَّةً على نصرانيَّتهم بعد الاسلام. وكنيتهُ ابو عبدالله وجاء في حماسة ابي تمَّام (٢ : ٧٧٣) : اعشى بني ربيعة من بطن منهم يقال لهم بنو أُمامة. وامَّا السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٩) فانهُ زعم انَّ اسم اعشى بني ربيعة صالح بن خارجة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (١٦ : ١٦٠) : « هو شاعر اسلاميّ (اي عاش بعد الجاهليَّة) من ساكني الكوفة وكان مروانيّ المذهب شديد التعصُّب لبني اميَّة». وقدم الاعشى الشام ودخل على الخلفاء الامويين في دمشق فمدحهم ونال صِلاتهم وقد تردَّد خصوصاً على عبد الملك بن مروان وعلى سليمان بن عبد الملك فعاش الى ايَّام الوليد بن عبد الملك

ومن اخبار اعشى بني ابي ربيعة مع عبد الملك ما اخبرهُ في الاغاني (١٦ : ١٦٣) قال : دخل اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشدهُ قولهُ (من الوافر) :

رأيتُك أمسِ خيرَ بني مَعَدٍّ ... وانتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ
وانت غداً تزيد الضعف ضِعفاً ... كذاك تزيد سادَةُ عبد شمسِ

فقال لهُ : من اي بني ابي ربيعة انت ؟ (قال) فقلت لهُ : من بني أُمامة. قال : فانَّ أُمامة ولد رجلين قيساً وحارثة فاحدهما نَجَمَ والآخر خَمَلَ. (قال) فقلت : انا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر توَّجتهُ. (قال) فقام بخصرةٍ في يدهِ فضربها في بطني ثم قال : يا اخا بني ربيعة هَشُّوا ولم يفعلوا فاذا حدَّثتني فلا تكذبني. فجعلتُ لهُ عهداً ألَّا احدِّث قرشيًّا بكذب ابداً

واخبر ايضاً ان اعشى دخل على عبدالله وهو يتردَّد في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يجدّ فقال لهُ : يا امير المؤمنين ما لي اراك متلوِّماً يُنهضك الحزم ويُقعدك العزم وتُهمُّ بالاقدام وتجنح الى الاحجام. انفُذ لنصرتك وأمضِ رأيك وتوجَّه الى عدوِّك فجَدُّك مُقبل وجَدُّهُ مُدبر. واصحابهُ لهُ ماقتون ونحن لك محبُّون. وكلمتُهم متفرِّقة وكلمتُنا عليك مجتمعة والله ما تُوتى من ضعفٍ جنان ولا قلَّة اعوان. ولا يثبطك عنهُ ناصح ولا يحرِّضك عليهِ غاشٌّ وقد قلت في ذلك ابياتاً. فقال : هاتِها فانك تنطق بلسانٍ وَدُود وقلب ناصح. فقلتُ (من الكامل) :

آلُ الزُّبَيْر من الخِلافة كالتي ... عجَلَ النتاجُ بحَمْلِها فأحالَها

او كالضعافِ من الحُمولةِ جَمَّلَتْ ... ما لا تُطيقُ فضيَّعت احمالَها
قوموا اليهم لا تناموا عنهمُ ... كم للغواةِ أطلتمُ إمهالَها
انّ الخلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ... ما زلتمُ أركانها وثمالَها
أمَسوا على الخيرات قفلاً مُغلَقاً ... فانهَضْ بيمنك فافتتحْ اقفالَها

فضحك عبد الملك وقال: صدقت يا ابا عبدالله انَّ أبا خُبَيب (هذه كنية عبد الله ابن زُبير) لَقُفل دون كلّ خير ولا نتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل». وامر لهُ بصلةٍ سنيَّة

وروى العبَّاس بن هشام عن ابيهِ قال: قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال لهُ عبد الملك: ما الذي بقيَ منك؟ قال، انا الذي اقول(١ (من الطويل):

وما انا في أمري ولا في خصومتي ... بمهتَضَمٍ حَقّي ولا قارعٍ سِنّي (٢
ولا مُسلِمٍ مولايَ عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولايَ من شرّ ما اجني (٣
وانَّ فؤادًا بين جنبَيَّ عالمٌ ... بما ابصرَتْ عيني وما سمعَتْ أذني
وفضَّلني في الشعر والـلُّبّ أنّني ... اقولُ على علمٍ واعرفُ ما اعني (٤
فاصبحتُ إن فضَّلتُ مروانَ وابنَهُ ... على الناس قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك: من يلومني على هذا وامر لهُ بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر قرائض من الابل واقطعهُ الف جريب وقال لهُ: امضِ الى زيد الكاتب

١) وفي حماسة ابي تمام (ص ٧٧٣) ان عبد الملك قال لهُ: يا ابا المغيرة ما بقي من شعرك؟ فقال: يا امير المؤمنين لقد بقي منهُ وذهَبَ على انّي الذي اقول . . . ٢) ويروى:
وما انا في حقي ولا في خليقتي ... بمهتضمٍ حقّي ولا فارغٍ قِرني
(قال) في حقي اي في ما استحقهُ من الناس.
٣) ويروى: من شرّ ما جرى. ويروى: ما جنى. (قال) اي اذا جنى ابن عمّي جناية لم اخذلهُ ولكني ادفع عنهُ ولا الزمهُ جنايتي. وفي هذين البيتين غناء لابراهيم الموصلي
٤) ويروى: وفضّلني في القول . . من اعني

يكتب لك بها واجرى له على ثلثين عبلًا فاتى زيدًا فقال له : ائتني غدًا . فأتاه فجعل يردده فقال له (من الرجز) :

يا زيدُ يا فداكَ كلُّ كاتبِ ... في الناس بين حاضرٍ وغائبِ
هل لك في حقٍّ عليك واجبِ ... في مثلهِ يرغبُ كلُّ تاعبِ
وانت عفٌّ طيّبُ المكاسبِ ... مُبرّأٌ من عيبِ كلِّ عائبِ
ولستَ ان كفيتني وصاحبي ... طول غُدوٍّ ورَواحِ دائبِ
وسدّةُ البابِ وعنفُ الحاجبِ ... من نعمةٍ اسديتَها بجانبِ

فأبطأ عليه زيد فاتى سفيان بن الابرد الكلبي فكلّمه سفيان فأبطأ عليه فعاد الى سفيان فقال له (من البسيط) :

عُدْ اذ بدأتَ بحُسْنى فانت لها ... ولا تكنْ من كلام الناس هيّابا
واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فانّ من شُفعاء الناس أذنابا

فاتى سفيان زيدًا الكاتب ولم يفارقه حتى قضى حاجتهُ . وذكر البلاذري في كتاب الاشراف (ص ٣٤٠) (ed. Ahlwardt, B^{d} XI,) انّ اعشى بني ابي ربيعة قال شعرًا يحث فيه عبد الملك على بَيْعة الوليد وخَلْع اخيه عبد العزيز (من المنسرح) :

ابنُك أولى بمُلك والدهِ ... وعَمُّهُ إذْ عَصاك مُطّرَحُ
ورثتَ عثمانَ وابنَ حَرْبٍ ومَرْ ... وانَ وكلٌّ للهِ قد نَصَحوا
فعِشْ حميدًا واعملْ بسُنّتهم ... تكُنْ بخَيْرٍ واكدَحْ كما كَدَحوا

ومما روى ابو فراس عن خداش (الاغاني ١٦ : ١٦٣ حماسة ابي تمّام ٧٧٣) ان اعشى بني ربيعة دخل على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال (من الطويل) :

أتينا سُليمانَ الاميرَ نزورهُ ... وكان امرءًا يُجْبى ويُكرَمُ زائرُهْ

اذا كنتَ بالنَّجوى بهِ متفرِّدًا فلا الجودُ مُخليهِ ولا البُخلُ حاضرُهْ (١
كِلا شافِعَي سوءِ الهِ من ضميرهِ . عن الجَهل ناهيهِ وبالحِلم آمِرُهْ (٢

فاعطاهُ واكرمهُ وامر كلَّ من كان بحضرتهِ من قومهِ ومواليهِ بصلتهِ فوصلوهُ فخرج وقد ملأ يديهِ

وكان الاعشى في الكوفة لمَّا تولَّى الحجَّاج على العراق سنة ٧٥ هـ فوجد منهُ الحجَّاج ما كرههُ . قال ابن حبيب (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : «كان الحجَّاج قد جفا الاعشى واطَّرحهُ لحالة كانت عند بشر بن مروان . فلمَّا فرغ الحجَّاج من حرب الجماجم(٣ ذكر فتنة ابن الاشعث وجعل يوبِّخ اهل العراق ويوبِّخهم فقال من حضر من اهل البصرة : انَّ الريب والفتنة بدأَا من اهل الكوفة وهم اوَّل من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية . فقال اهل الكوفة : لا بل اهل البصرة اوَّل مَنْ اظهر المعصية مع جرير بن عبد الله السَّدوسي اذ جاء من الهند . واكثروا من ذلك فقام اعشى بني ابي ربيعة فقال : اصلَح الله الامير لا براءة من ذنبٍ ولا ادِّعاء على الله في عصمةٍ لاحد من المصرَين قد والله اجتهدوا جميعًا في قتالك فأبى الله الَّا نصرك وذلك انهم جزعوا وصبرتَ وكفروا وشكرتَ وغفرتَ اذ قدرتَ فوسعهم عفوُ الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا» . فسُرَّ الحجَّاج بكلامهِ وقال لهُ سيِّدٌ وقال : تهيَّأ للوفادة الى امير المؤمنين حتى يسمع هذا منك كفاحًا

وحدَّث حمَّاد بن اسحاق عن ابيهِ قال (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : بلغ الحجَّاج ان اعشى بني ابي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود (٤ فغضب عليهِ فقال يعتذر اليهِ (من الطويل) :

---

١) قال في الحماسة (٧٧٤) : النجوى المسارَّة . يقول : اذا وقعتَ في خاطرهِ وانفردت بتناجاتهِ فالجود نُصب عينيهِ والبخل غائب عن همِّهِ

٢) وفي الاغاني : «فلا شافعي» وهو تصحيف . (قال) جعل للسؤال شافعين وكلاهما ينهاهُ عن البخل ويأمره بالبذل

٣) الجماجم مكان قرب الكوفة عندهُ كانت وقعة محمَّد ابن الاشعث مع الحجَّاج سنة ٨٢ هـ (٧٠١م) قيل انهُ دُعي بالجماجم لكثرة من قُتل بهِ فبُني من جماجمهم بناء

٤) عبدالله بن الجارود العبديّ من اهل البصرة خالف الحجَّاج بن يوسف والي العراق في امرٍ وتبعهُ وجوه الناس فاقتتلوا قتالاً شديدًا فقُتل ابن الجارود وجماعة من اصحابهِ سنة ٧٥ هـ (٦٩٤ م)

أبيتُ كأني من حِذار ابن يوسفٍ طريدُ دمٍ ضاقت عليهِ المَسالكُ
ولو غيرُ حجّاجٍ اراد ظُلامتي حمتني من الضيمِ السيوفُ الفواتكُ
وفِتيانُ صدقٍ من ربيعةَ قَصرةٍ اذا اختلفت يومَ اللقاء النيازكُ
يُحامون عن احسابهم بسيوفهم وارماحُهم واليومُ اسودُ حالكُ

فرضي عنهُ . وكان بين اهل الكوفة رجلٌ شهير بفضلهِ وكرمهِ وهو اسماء بن خارجة . اشتهر وفيهِ يقول عبدالله بن زبير يثني على جودهِ :

ألم ترَ انَّ الجود أرسل فانتقى حليفَ صفاء وانتلى لا يزايلهْ
تخيّرَ اسماء بن حصنٍ فبُطنت بفعلِ العُلا أبنائهُ وشمائلُهْ
ولا مَجد الّا مجدُ اسماء فوقهُ ولا جَريَ الّا جَريُ اسماء فاضلُهْ
تراهُ اذا ما جئتهُ متهلّلا كأنك تعطيهِ الذي انت نائلُهْ
ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ روحهِ لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائلُهْ

وقد امتدح اعشى بني ابي ربيعة اسماء المذكور فأعطاهُ وكساهُ فقال (من الوافر) :

لأسماءَ بنِ خارجةَ بنِ حِصنٍ على عِبءِ النوائبِ والغَرامَهْ
أقلُّ تعلُّلا يوماً وبُخلا على السُّؤال من كعب بن مامَهْ (١
ومَصقَلَةَ الذي يبتاعُ بَيْعاً رَبيحاً فوق ناجيةَ بن سامهْ (٢

ومن شعرهِ ما رواهُ لهُ الطبري في تاريخهِ يذكر يوم ذي قار الذي انتصر فيهِ العرب على العجم (من الوافر) :

---

١) كعب بن مامه هو الايادي الذي اعطى في البرّيّة حصّتهُ من الماء رجلا طلبها منهُ فأتت عطشاً وضُرب المثل بجودهِ ٢) مصقلة هو مَصقلة بن هبيرة البكري (اطلب اخبارهُ في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٨٣٨-٨٤٢) . وناجية قبيلة من العرب ينسبون الى ناجية بن سامة وقيل بل ناجية أمهم . قال الكلبيّ : جعل الاعشى ناجية رجلا وهي امرأة لضرورة الشعر . والله اعلم

ونحنُ غداةَ ذي قارٍ أقمْنَا وقد شهدَ القبائلُ مُخْلِينا
وقد جاؤوا بها جأواءَ فِلقاً مُلَمْلَمَةً كتائبُها طَحُونا
ليومٍ كريهةٍ حتى تجلّت ظِلالُ دُجاهُ عنّا مُصْلتينا
فولّونا الدوابرَ واتّقَوْنا بنُعمانَ بنِ زُرْعَةَ أكتفينا
وذُدْنا عارضَ الأحرارِ وِرْدًا كما وردَ القَطا الثَّمدَ المَعينا

واعلم انَّ اعشى بني ابي ربيعة يُدعى ايضاً «اعشى شيبان» فيُنسَب الى هذا ما ينسبهُ آخرون الى ذاك فهذا الجاحظ في البيان والتبين (١ : ١٥١) قد نسب الى اعشى بني شيبان ما رواهُ في الاغاني والحماسة لاعشى بني ابي ربيعة. ومن ثمَّ نظنُّ انَّ ما ينسب في بعض التآليف لاعشى بني شيبان هو لاعشى بني ربيعة الشيباني كالذي جاء مثلًا في تاريخ الطبري (٢ : ١١٧٧) وفي كتاب انساب الاشراف للبلاذري (ص ٢١٣) : وهو في معنى ما ذُكر سابقاً من اقوال اعشى بني ربيعة لعبد الملك (من مجزوء الكامل) :

عرفَتْ قريشٌ (١ كلُّها لبني ابي العاصِ الإمارَهْ
لأبَرّها وأحقّها عند المَشورةِ بالإشارَهْ
المانِعين (٢ لما وَلُوا والنّافعين ذوي الضرارَهْ
وهمُ احقُّهمُ بها (٣ عند الحَلاوةِ والمرارَهْ

وفي حماسة البحتري (ع ٤٨٣) قولهُ في الشماتة وعاقبتها (من الوافر) :

اذا ما المرءُ غالتْهُ شَعُوبُ فما للشّامتين بهِ خُلودُ
وريبُ الدهرِ بالانسانِ جمٌّ ولا تُنجي من التَّلَفِ الجُدودُ

١) ويروى : عرفت أميَّةُ ٢) ويروى : والتابعين
٣) ويروى : وهمُ احقُّ بإرثها

والى اعشى بني شيبان ينسبُ ايضاً في بعض المخطوطات قولهُ في المقايسة بين امور الزمان (من السريع) :

يا أيُها السائل عن ما مضى من ريبِ هذا الزمنِ الذاهبِ
ان كنت تبغي العلمَ او نحوَهُ او شاهداً يُخبر عن غائبِ
اعتَبِرِ الارضَ باسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وكذلك يُنسب الى اعشى شيبان في كتاب الكتّاب للصولي (ص ١٧٧) قولهُ (من البسيط) :

يا عمرو أقصِد نواك الله بالرُّشدِ وأقرِ السلام على الأبقاء والقَصَدِ(١
وبكَ عيشاً تولّى بعد جدّتهِ طابت اصائلُهُ في ذلك البَلَدِ

٥ مَرْقس الطائي

نضيف الى الاعشيَيْن التغلبيّ والشيبانيّ احد الطائيين الذي عُرف في عهدهما وذكر في شعره حرب الحرورية في ايام عليّ بن ابي طالب. ألا وهو مَرْقس الطائي. وكفى بأسمهِ دليلاً على نصرانيّتهِ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو احد بني طيّ اليمنيين الذين تكرّر ذكر تنصّرهم (اطلب كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢ و ١٣٢—١٣٣) . أمّا اسم مَرْقس هذا فذكرهُ في التاج (٤ : ١٦٣) فقال : « مَرْقس كجعفر بفتح الميم والقاف ويقال بضمّ القاف مَرُقس » (قلنا) وهذا الصواب وهو اسم نصرانيّ صريح

١) ورد هذا البيت في اللسان (٢٠ : ٢٢٢) وفي التاج (١٠ : ٢٧٦) وروايتها : يا عمرو أحسِنْ وروى في الصحاح : على الذَّلفاء بالشّدِ وبروى الزلفاء بالزاي . . على الأبقاء والشّدِ . قالوا : نراك الله اي حفظك وصحبك في سفرك

وتعريب اسم الانجيليّ الشهير القديس مَرْقُس (١ . (قال) «واسمهُ عبد الرحمان » (قلنا وفي هذا دليل على انّ النصارى كانوا يتّخذون لهم اسمَين اسماً في العماد يدلُّ على نصرانيّتهم واسماً آخر يُعرَفون بهِ . وهكذا كان يفعل بزماننا ايضاً كثيرون من النصارى . وقال في التاج انّ الصواب في اسمه « عبد الرحمان بن مَرْقس » امّا في الحماسة فقال «انّ اسمهُ عبد الرحمان ولقبهُ مرقس»

وقد ذكر المبرّد نسبهُ في الكامل (٥٦٣—٥٦٤) وابو تمام في الحماسة (ص٢٩٧) قالا : «كان من طيّئ واسمهُ عبد الرحمان احد بني مَعْن بن عُتُود اخي بُحْتُر ثم احد حُتَيّ (ويروى حُيَيّ) بن مَعْن من بني طيّ كابي زُبيد السابق ذكرهُ وقد أجمع الكتبة كلهم بانهُ «شاعرٌ طائيّ» لكنّهم لم يرووا لهُ من الشعر الّا ابياتاً من الرجز اثبتها ابو تمّام في حماسته (ص ٥٦٣—٥٦٣) قالها في لقاء بني مَعْن الحَرورِيّة والحرورِيّة قوم من الخوارج قاتلوا عليّ بن ابي طالب مع نَجدة بن عامر الحنفيّ نُسبوا الى حَرُوراء قرية تبعد ميلَين عن الكوفة كانوا اجتمعوا فيها فقال مرقس يذكر قومهُ (من الرّجز) :

قد قارَعَتْ مَعْنٌ قِراعاً صُلْبا قِراعَ قومٍ يُحسنون الضَّرْبا

تَرَى مع الروعِ الهِلامَ الشَّطْبا اذا أَسَسَّ وَجَعاً او كَرْبا (٢

دَنا فما يزدادُ إلّا قُرْبا تَمَرْمُسَ الجَرْباءِ لاقَتْ جُرْبا (٣

هذا ما امكننا الوقوف عليهِ من اخبار وشعر هذا الطائيّ اثبتناهُ هنا مع قلّتهِ

(لهُ صلة)

---

١) ومن الشعراء النصارى الذين ذكرناهم سابقاً في «شعراء النصرانيّة» (ص ٢٨٢) المرقّش الاكبر . ولهُ ابن اخٍ يُعرف بالمرقّش الاصغر قالوا انهُ دُعي بذلك لبيت قالهُ :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقّشَ في ظهر ادیم قلَمْ

واملّ الصواب انّ « المرقّش » صورةٌ اخرى لاسم «مرقس»

٢) الشَّطْب السَّبْط العظام الخفيف اللحم . (قال) واكثر ما يستعملون هذا الوصف بالماء يقولون فرسٌ شَطْبة ٣) اي لا يتأخر عن الدنوّ من العدوّ بل يزداد مع الروع اقتراباً لمحاربتهِ . والتمرمس التحكّك . اي تمرّس المثل بمثلهِ كالشاة الجرباء اذا لاقت مثلها